

الأمثل في تفسير كتاب القرآن المنزل

[31] إِنَّهُمْ كَانُوا يَقُولُونَ: إِنَّ آيَةَ عَهْدِ إِلَيْنَا أَنْ يَبْقِيَ مِثْلَ هَذَا التَّعْلِيمِ، وَمِثْلَ هَذَا الْقُرْبَانِ فِي كُلِّ دِينَ سَمَاوِيٍّ، وَحَيْثُ إِنَّنَا لَا نَجِدُ مِثْلَ هَذَا الْأَمْرِ فِي التَّعَالِيمِ الْإِسْلَامِيَّةِ لِذَلِكَ فَإِنَّنَا لَا نُؤْمِنُ لَكَ، وَلَكِنْ هَذَا الْإِحْتِمَالُ بَعِيدٌ عَنْ تَفْسِيرِ الْآيَةِ جِدًّا لِأَنَّه: يَاوُ: إِنَّ هَذِهِ الْجُمْلَةُ قَدْ عَطَفَتْ فِي الْآيَةِ الْحَاضِرَةِ عَلَى "الْبَيِّنَاتِ" وَيُظْهِرُ مِنْ ذَلِكَ أَنَّ مَرَادَهُمْ كَانَ عَمَّ إِعْجَازِيًّا، وَهُوَ لَا يَنْطَبِقُ مَعَ هَذَا الْإِحْتِمَالِ. وَثَانِيًا: إِنَّ ذَبْحَ حَيَّوَانٍ ثُمَّ حَرْقَهُ بِالنَّارِ عَمَلٌ خَرَافِي وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ مِنْ تَعَالِيمِ الْأَنْبِيَاءِ وَشَرَائِعِهِمُ السَّمَاوِيَّةِ. ثُمَّ يَعْقِبُ سُبْحَانَهُ عَلَى الْآيَةِ السَّابِقَةِ بِقَوْلِهِ: (فَإِنَّ كَذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ رَسُلًا مِنْ قَبْلِكَ). وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ يَسْلِي اللَّهُ سُبْحَانَهُ النَّبِيَّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) وَيَقُولُ: إِنَّ كَذِبَتِكَ هَذِهِ الْجَمَاعَةُ فَلَا تَقْلُقْ لِذَلِكَ وَلَا تَحْزَنْ، فَذَلِكَ هُوَ دَأْبُهُمْ مَعَ أَنْبِيَاءِ سَبْقُوكَ حَيْثُ كَذَّبُوهُمْ، وَعَارِضُوا دَعْوَتَهُمْ بِصَلَابَةٍ وَعِنَادٍ. وَلَمْ يَكُنْ هَؤُلَاءِ الْإِنْبِيَاءُ غَيْرَ مَزُودِينَ بِمَا يَبْرَهْنُ عَلَى صِدْقِهِمْ، بَلْ (جَاؤُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزَّبْرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ). وَهَذَا لَا بُدَّ مِنَ الْإِئْتِبَاهِ إِلَى أَنَّ "زُبْرًا" وَهُوَ جَمْعُ (زَبْرٍ) يَعْنِي كِتَابًا أَوْ حُكْمًا يَكْتَابُهُ مَوَاضِيعُهُ، لِأَنَّ الزَّبْرَ أَصْلٌ مِنَ الْكِتَابَةِ، لَا مَطْلُقَ الْكِتَابَةِ، بَلْ الْكِتَابَةُ الْمَتَقَنَةُ الْمَحْكَمَةُ. وَأَمَّا الْفَرْقُ بَيْنَ "الزَّبْرِ" وَ"الْكِتَابِ الْمُنِيرِ" مَعَ أَنَّهُمَا مِنْ جِنْسٍ وَاحِدٍ هُوَ الْكِتَابُ، فَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ بِسَبَبِ أَنَّ الْأَوَّلَ إِشَارَةٌ إِلَى كُتُبِ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلَ مُوسَى (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، وَالثَّانِي إِشَارَةٌ إِلَى التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ، لِأَنَّ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ عِبْرَتُهُمَا فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ الْآيَةِ 44، وَ46 بِالذِّكْرِ إِذْ قَالَ: (إِنَّنَا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ...) (وَأَتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ).